## الليل:

## لقد انتهى ما بين الشاعر و(بيضة الخدر) وربما عادت إلى خدرها وبقي وحده على الكثيب يتملى الليل ذلك المجهول الأعظم الذي وقف عنده الأدباء والفلاسفة متأملين. وكأني بامرئ القيس بعد أن انتهى من عرض تجربته مع المرأة ، دفع ذلك الشوق العارم إلى المرأة الذي تلاه هذا السكون الشامل إلى أن يتأمل الحياة وربط بين السكون الذي يحسه في نفسه وبين سكون الليل، بين وحشته ووحشة الليل، بين الحياة التي تنبض في عروقه والنجوم الحية النابضة في سديم الليل، أو ربما أحس امرؤ القيس بكذبته البلقاء مع (بيضة الخدر) وأدرك أنه يكذب على نفسه قبل أن يكذب على الآخرين مفاخراً، ودفعه هذا الإحساس بالجدب وهو في جوف الليل إلى تأمل الليل، فأثار أشجانه وهمومه وخوفه من المجهول. إن العلاقة بين ذكرياته مع النساء وبين الليل علاقة نفسية لأنهما معاً يشغلان تفكير الشاعر، ولأنهما معاً من صورة الحياة البدوية التي يحياها الشاعر وتتوارد على تفكيره في قوة وعنف. فكما أن المرأة رمز للحياة والاطمئنان والسعادة، فكذلك الليل رمز للوحشة والرهبة والخوف، وكما يتوالى صراع الموت والحياة في المرأة، فهي الحياة عند إقبالها، وتوالد الوحشة والهم والحزن عند أدبارها أو صرمها حبل الود، فكذلك الليل هو الوحشة والخوف والموت عند إقباله وهو الحياة والأمل والسعادة عند أدباره وانبلاج فجره:

|  |  |
| --- | --- |
| ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُوْلَــهُ َعلَيَّ بِأَنْـوَاعِ الهُـمُوْمِ لِيَبْتَلِــي | |
| فَقُلْـتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّـى بِصُلْبِــهِ وأَرْدَفَ أَعْجَـازاً وَنَاءَ بِكَلْكَــلِألاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألاَ انْجَلِــي بِصُبْحٍ وَمَا الإصْبَاحُ منِكَ بِأَمْثَــلِفَيَــا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأنَّ نُجُومَـهُ بكل مغار الفتل شدت بيذبل | |
| كأن الثريا علقت في مصامها بِـأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْــدَلِ | |
| لاشك في أن هذا الليل ليل من نوع خاص , فتشبيهه بموج البحر , يجعله ليلا يغمر المرء فإذا هو كالغريق , ليلا تمر ساعاته متشابهة حتى يبدو وكأنه لا نهاية له , وموجه ليس عاديا بل هو موج حالك السواد , يحيط بالإنسان من كل جانب , فلا يعرف كيف يهتدي فيه . **وحشة وغربة ومن ثم عزلة أوحت بها الستائر المنسدلة لتضفي على المشهد مزيدا من القتامة . إن صورة البعير البارك على صدر الشاعر , يقطع نفسه , وإذ بنا نشعر بالاختناق والموت .** | | | |

## إننا نحس بخوف امرئ القيس من الليل ومن المجهول الكامن فيه كما كان يخاف أن تهجره المرأة وتقطع حبل المودة بينهما، فهو إذا يخشى الوحدة، ويخاف نفسه المصطرعة المضطربة، لأنه يخشى أن يتغلب فيها عنصر الفناء على عناصر البقاء فيهرب من هذا الصراع الداخلي إلى المرأة واللهو معها. أما الآن فهو يجابه وحدته مع الليل فينبعث (اللاشعور الجماعي) قوياً عارماً، فالليل حيوان خرافي عظيم الخلقة، لعله من مخلفات الأساطير القديمة والعبادات الوثنية. وكأن هذا الحيوان الخرافي الهائل يجثم على صدره ويضيق تنفسه ويشعره بدنو أجله أو دنو الموت منه. والثقل والجثوم لا يكون في هذا الحيوان الهائل فقط بل في جبل يذبل العظيم الذي شدت إليه نجوم السماء. فكأنه هو الآخر يجثم على صدره ويضيق أنفاسه بنجومه المربوطة إليه (بكل مغار الفتل)، حتى الحبال قوية ثقيلة. ترى هل كان جبل يذبل والنجوم المشدودة إليه معبوداً عبده أجداد امرئ القيس فيما سبق فظهر خوفه منها؟ بينما النجوم الوامضة في سديم الليل تبعث على الألفة والحياة أكثر مما تبعث على الخوف والرهبة وضيق الصدر، إلاّ إذا ارتبطت بقضية أسطورية عندئذ تفقد مظهرها الخارجي ويؤثر إيحاؤها الديني في نفوس الناس. وأعتقد أن وحشة امرئ القيس منها يعود إلى مثل هذا السبب، وإلاّ لما أصبحت (الثريا) التي كانت قبل قليل مبعثاً لسعادته بحيث جاء وصفها عذباً جميلاً (إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل) مصدراً لخوفه ورهبته الآن بحيث أنها لثقلها ورهبتها علقت بحبال قوية من الكتان إلى حجارة صماء غير متخلخلة. إن الثريا ثابتة في مواجهته لا تتحرك ومثلها بقية النجوم والليل، فهم ثابتون كجبل يذبل. وهم جاثمون على صدره يشعرونه بالوحشة والرهبة والخوف كالحيوان الأسطوري الهائل. ألا ما أثقل الوحشة والليل على نفس امرئ القيس العذبة الرقيقة المليئة بالحياة والحب والحركة. لذا كان انبلاج النهار باعثاً للحيوية والنشاط في نفس شاعرنا لأن النهار هو الحياة والألفة والحركة بعكس ليل الوحشة والخوف .